

مخالفة الأكثرين أقرب إلى الحق من موافقتهم [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أَعْرِفُ بِالْمَخْلُوقِ مِنْ خَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبَيِّنْ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَشْرَاتِ الْآيَاتِ أَنَّ {أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} وَالْأَيُّ شُكْرُونَ} {وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} {وَأَنْ أَكْثَرَهُمْ فَاسِقُونَ} {وَأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} {وَأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} {كَمَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ: 106}، وَأَنَّكَ إِنْ تَطَعْتَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ {كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: 116}، وَأَنْ أَكْثَرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ رَغْمَ حِرْصِهِ عَلَى هِدَاهِمَ {كَمَا فِي سُورَةِ يُوسُفَ: 103}، وَأَنْ أَكْثَرَهُمْ مَعْرِضُونَ عَنِ الْحَقِّ {كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: 24}، وَأَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ يَأْبَى إِلَّا كُفُورًا {كَمَا فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: 89}، وَأَنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَتَّبِعُ إِلَّا الظَّنَّ {كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: 116}، وَأَنْ أَكْثَرَهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ {كَمَا فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: 70}، الْمَزْخَرَفُ: 78}، وَأَنْهُمْ: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ} {الْمَنْحَلُ: 83}، وَأَنْ: {أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} {الْأَنْعَامُ: 111}.

وَفِي مَقَابِلِ الْكَثْرَةِ الْمَضَالَّةِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَقْلَّةَ الْمَصَالِحَةَ فَقَالَ تَعَالَى: {وَقَلَّ لَيْلٌ مِنْ عِبَادِي الْمَشْكُورِ} {سَبَأُ: 13}، وَقَالَ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلَّ لَيْلٌ مَا هُمْ} {ص: 24}.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ (عَنِ الْكَثْرَةِ الْمَضَالَّةِ، وَالْمَقْلَّةِ الْمَصَالِحَةِ) فِي بَعْثِ النَّارِ: "مَنْ كُلُّ أَلْفٍ تَسَعُ مِئَةٌ وَتَسَعَةٌ وَتَسْعِينَ" - فِي النَّارِ - {وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ}، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدٍ"، مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ اتَّفَقَ عَلَى صِحَّتِهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَالْمَلْفُظُ لِمُسْلِمٍ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فَرَقَةً؛ فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ"، قَالَ: "هَمَّ الْجَمَاعَةُ".

قَلْتُ: لِمَا الْجَمَاعَاتُ وَمَا الْأَحْزَابُ وَمَا الْمَضْرَقُ، وَلَوْ وَصَفْتَ زَوْراً بِالْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَفِي رِوَايَةٍ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"، أَنْظُرْ: (نُصَحَ الْأُمَّةُ فِي فَهْمِ أَحَادِيثِ افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ) لِلشَّيْخِ سَلِيمِ الْمُهَلَّبِيِّ، ط: دَارُ الْمُنْصَحِيِّ فِي عَمَّانَ، عَامَ 1409 هـ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "تَقُومُ الْمَسَاعِدُ وَالرُّومُ أَكْثَرَ النَّاسِ".

وَالرُّومُ (وَهُمُ الْيَوْمَ جُلُّ سُكَّانِ أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا) يَقُولُونَ إِنَّهُمْ نَصَارَى، وَالْحَقُّ بِهِمُ الْيَهُودُ فِي الْعَصُورِ الْمَتَأَخَّرَةِ بِاعْتِبَارِ حَقِيقَةِ أَنَّ مُوسَى وَعِيسَى - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْبَرَكَةُ - بَعَثَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْهُمَا بَعَثَا بِأَفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَنَفِيهَا عَمَّنْ سِوَاهُ، وَيُسَمَّى النَّصَارَى التَّوْرَةَ: الْعَهْدُ الْقَدِيمُ، وَالْإِنْجِيلَ: الْعَهْدُ الْجَدِيدُ (testament) وَإِنْ بَقِيَ الْعِدَاءُ بَيْنَ الْمُنْتَمِنِينَ إِلَى دِينِ مُوسَى وَعِيسَى؛ فَقَدْ صَرَّحَ لِي بَعْضُ الْمُتَقَفِّينَ فِي كَنْدَا قَبْلَ بَضْعِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً بِأَنَّ الْمَأْضُولِيَّةَ فِي التَّوْظِيفِ لَا يَزَالُ يَحْكُمُهَا حِجْمُ الْأَنْفِ عِنْدَ بَعْضِ جِهَاتِ التَّوْظِيفِ!

وعندما ذكرتُ لأمر يكي مثقف أمر الله بالمعدل؛ قال: اليهود لا يؤتمنون! وانتشرت النصرانية في أفريقيا وآسيا وفي قارة استراليا وسائر جزر المحيط الهادي.

ولكن الوثنية البوذية والهندوسية وغيرها تُنافس أو تغلب النصرانية بكثرة العدد (في الصين والهند وجنوب شرقي آسيا بخاصة) حتى اليوم؛ إذا حُصر الروم في الجنس الأبيض (الأبيض).

والمنتمون إلى الإسلام (آخر الأديان الإلهية) كثير، وإن لم يكونوا الأكثر، ولكنهم غطاء السيد؛ لا لقلتهم أو تخلُّفهم الصناعي أو الزراعي أو الفكري أو التقني، كما يظن كثير منهم، فلم يخلقوا للتنافس على شيء من ذلك، وإنما لتفرقتهم وتفريقهم دينهم بتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف، وأشر من ذلك وبسببه تلبس أكثرهم بالوثنية متابعين لليهود والنصارى واليونان، ومن ورائهم هندوسية الهند، تقرباً بهذه الوثنية إلى الله، وأعظم مظاهرها عند المنتمين للديانات كلها: دعاء من سُميت بأسمائهم: المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة؛ أصل الأوثان والنصب والأصنام منذ بنى أجداد قوم نوح نصباً في مجالس صالحيهم، كما في كتاب التفسير من صحيح البخاري، وتفسير ابن جرير الطبري - رحمهما الله تعالى وأسكنهما الجنة -

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ مِنْ أُمَّةٍ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَهٌ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذْ حُشِرَ النَّاسُ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَاعْبُدْهُمْ لِقَائِهِمْ﴾ [الأحقاف: 6-5].

ومنذ هداني الله إلى حقيقة أن الكثرة أقرب إلى الضلال منها إلى الحق، لم أخش مخالفة الأكثرية، وحرصت على اتباع الدليل من الوحي بفهم السلف في القرون الخيرة لشهادة النبي صلى الله عليه وسلم بفضلها على سائر القرون، لصلتها القربية بعهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وصحابته والذين اتبعوهم بإحسان - رضي الله عنهم وأرضاهم -، وبلغت القرآن والسنة، وبالنهج الأول سبيل المؤمنين، ولو فارقه الأكثرون (الأقلون).

وفي المباحات أتبع الفطرة والعقل، فاعتقني الله من التقليد الديني والدنيوي، والعنقُ منهما نعمة عظيمة (لا يعرفها الذين يطالبون بالانعقاد من حدود الاتباع، وهي في متناول أيديهم) ومن أمثلة مخالفتي للأغلبية في أمور الدين وفي أمور الدنيا:

1- مجانية، بل محاربة الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف المحدثّة، المخالفة لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وشرها جماعة الإخوان المسلمين التي أصرت منذ أنشئت على مشاقّة الله ورسوله وفقهاء الأمة الأولى في مناجها الدعوي (وهو أساس وجودها) فن بدت أهم أمر، وأهم نهي، أرسل الله به كل رسلة: الأمر بإفراد الله بالعبادة، والنهي عن صرفها لغيره، فلم تذكر أيّ منهما في أركانها (20)، ووصاياتها (10)، وموابعاتها (10)، ومنجياتها (10)، ومهلكاتها (10)، وواجباتها العملية (38)، ومطالبها من الولاية (50)، رغم أنها ذكرت: (تخفيف شرب المشاي والمقهوة، وتوحيد الزبي، وتنظيم المصابيف)، ورغم أنها ولدت وشابت بين الأوثان من المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة والشجر والحجر.

2- ولما رأيتُ معظم أفراد الدعوة، وجُلُّ مؤسسات الدعوة في كل مكان اجتالتهم شياطين الحزب الإخواني عن منهج النبوة إلى منهج البنا وسيد قطب (المبتدع المضال المضل) الذي يشغل المسلمين بالمهم (في أحسن الأحوال) عن الأهم من شرع الله: بالتحفيظ عن التدبير والعمل، وبالظن عن اليقين، وبالفكر عن الوحي، وبالحوادث والطوارئ عن أحكام الحلال والحرام في شرع الله (اعتقاداً ثم عبادة ثم معاملة)؛ لما رأيتُ هذا المضال المبين والمنهج الشيطاني يغلب ذوي الأبواب، ويطنغى على مؤسساتهم وأفرادهم، ويُبعدهم عن الوحي والمفقه فيه من أهله الأول، ويشغلهم بمحاربة ولاءاتهم (الذين أمرهم الله بطاعتهم) عن محاربة أنفسهم الأمانة بالسوء، وشيطانهم الذي يجري منهم مجرى الدم؛ جعلتُ أكبر همي: نشر توحيد الله بالعبادة ونُصرتَه، ومحاربة الشرك بالله في عبادته وما دون ذلك من المابتداع في الدين.

3- ومن أجل ذلك حذرتُ من مصطلحات الحزب الإخواني المفتراة على شرع الله، مثل: (الفكر الإسلامي) عوضاً عن المفقه الأول في الدين، ويتبع فرية الفكر الإسلامي فرية المُن الإسلامي، والعمارة الإسلامية، والنادي الإسلامي، والمدرسة الإسلامية، والمستشفى الإسلامي، والحزب الإسلامي، والمقاومة الإسلامية: إلى آخر منظومة الترويج الحزبي التجاري باسم الإسلام المنزه عنه.

ومثل فرية (الفكر الإسلامي) انطلقت فرية (السياسة من الدين) تسويغاً لركوب الحزب الإخواني المضال اسم الدين مَطيبةً للوثوب على السلطة في كل بلد عربي أو مسلم، ولما شك أن السياسة المعروفة (أي العلاقات بين الدول ومصدرها وسائل الإعلام) ليست من الدين، فلا يجوز أن ينسب إلى الدين والإسلام إلا ما أوحى الله به إلى رسوله بفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرون الخيرة؛ فهو السياسة الشرعية التي فارقها الحزب الإخواني وسمائها: (علم الموضوع والغسل والحيض والنفاس) تنفيراً منها ومن علمائها، وهو يحسب أنه يحسن صنعا - تجاوز الله عن مقترفيه -

4- ومن أجل ذلك حذرتُ من المانشغال بتجويد القرآن وحفظه وتحفيظه عن تلاوته حق تلاوته، أي: بتدبيره والعمل به وتبليغه.

وقبل أن يقول الشيخ ابن باز وابن عثيمين - رحمهما الله - بأنه لا دليل على لزوم ما سُمِّيَ بأحكام التجويد (وإن زادني قولهما يقيناً)، تقربتُ إلى الله بحذف مقرر التجويد من المدرسة التجريبية التي أنشأتها قبل (35* سنة) بموافقة وزارة المعارف) للتعليم العام دون المرحلة الثانوية، وكان أهم أسسها: ترك الملتزام بما لا يلزم شرعاً ولما عقلاً.

وخالفت الأكثرية بالتمزاري ودعوتي إلى الوقوف على رأس كل آية، وعدم وصل آية بآية مهما ارتبطا في المعنى، استجابة لقضاء الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعدم تكرار جزء من الآية لربطه ببقية الآية في أكثر الأحوال، فلا دليل على الملتزام بذلك، وإن التزم به المتأخرون.

والحرص على ذكر الله بعد قراءة كل آية بما يناسبها من ثناء أو دعاء أو استعاذة، في الصلاة وخارجها، وفي المرض والنفل، اقتداءً بما أورده الشيخ الألباني من الأحاديث والآثار في مؤلفه الفريد: (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) - جزاه الله خير الجزاء -، ولكنه مات - رحمه الله - وهو يقرأ كتاب الله قراءة مُقلدٍ خروجاً من منهجه: التقيد بالدليل من الكتاب والسنة وفهم فقهاء السلف في القرون الخيرة، بل أعده المجدد الثاني بعد ابن باز - رحمهما الله وأسكنهما الفردوس من الجنة - في الملتزام بالدليل والدعوة إليه، وأعده الأول في نشره.

5- ومن أجل ذلك زاد إيماني بالله وشكري وحمدي له لفضله على ولاتنا وعلماؤنا وفضله بهم علينا، ودعائي لأولهم وآخرهم كل ليلة، والتذكير بما تفضل الله به عليهم من تجديد الدين ثلاث مرات في القرون الثلاثة الأخيرة، وهدم الأوثان، وإزالة ما دونها من البدع، وهو ما لم تفعله دولة مسلمة منذ الفاطميين، ولما تزال السعودية بفضل الله عليها، لا يبني فيها مسجد على قبر، ولما يقوم فيها مشهد، ولما مزار، ولما مقام، ولما ضريح، ولما يبني على قبر أحد من الولاة، ولما من العلماء، ولما سائر الرعية، ولما يقام مولد، ولما زاوية، ولما عيد ديني غير عيدي المظفر والأضحى، ويحكم فيها بشرع الله في كل مسائل الاعتقاد والعبادة وفي جل مسائل المعاملات.

ولكني خوفاً من الوقوع فيما وقع فيه المطرقيون والحزبيون والموثنيون من تقديس البشر، تجنبت زيارة العلماء (فضلاً عن الأمراء) بحجة أنهم في حاجة إلى وقتهم، والناس في حاجة إليهم للعمل للصالح العام، وكثرة الزيارات تضيع وقتهم، ومرة قدمت من سفر دام نحو سنة فتهياً لي حضور درس الشيخ ابن باز بعد الفجر، وفي اليوم نفسه بتقدير الله سألت أخي إبراهيم - رحمه الله - (وقد لازمه 29 سنة) عنِّي فذكر له أنني كنت في درسه صباح اليوم، فقال: هذه عادته لا يتكلف حتى سلام المسافر! وهذا يصح بيني وبين أشقائي فلم نتكلف وداعاً ولما استقبلاً أبداً.

ومع أنني لا أعرف خيراً من الشيخ ابن باز في الجمع بين العلم والعمل وخلق الصبر والتواضع والكرم والسماحة، وأني لا أصلح تلميذاً له، فقد رأيت الرد عليه عدة مرات، لأستفيد من قبوله الرد أو رفضه، وليرى طلاب العلم مجرد احتمال خطأ العالم وطلب العلم، وأنه لا عصمة إلا لرسولٍ.

وفوق الشيخ ابن باز بدرجات: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - وقد من الله به علينا وعلى الناس إذ جدد الله به الدين في القرن (12) وهدم به أوثان الجزيرة وسائر بدعها ونشر الله به التوحيد وهزم به الشرك، وحول الله به وبآل سعود بلادنا إلى قدوة صالحة لم تعرف منذ (1000) سنة، ومع ذلك كتبت إلى جهات الاختصاص باقتراح عدة ملاحظات على (نواقض الإسلام) والعقيدة وما يضادها) للشيخ ابن باز التي نشرتها قبل أن أقرأ ملحوظات الشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد العزيز الريمس على نواقض الإسلام، وازددت بملحوظاتهما يقيناً - جزاهما الله خير الجزاء -

6- ومن أجل ذلك محصتُ بعض الأقوال التي يرددتها طلاب العلم (رواية عن بعض الفقهاء) قبل الأخذ بها، بل فهم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "حولها نُدندن". [فقد ظننتُ أن أكثر طلاب العلم يفهمونها بمعنى التردد، ولما زلتُ أظن الدندن في كتب اللغة وفي الشرع تعني: الذكر بما فوق الإخفات ودون الجهر كما في قول الله تعالى: [وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيِّنَاتٍ دَلِيلًا سَبِيلًا] [الإسراء: 110]، بحيث يُسمع المذاكر نفسه ولما يؤدي غيره، يسمع غيره صوته ولما يتبين ما يقول، بل كان القريب من النبي صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته في الصلاة (السرية) التي لا يجهر فيها الإمام بالقراءة.

وقد بدأ الناس في جزيرة العرب منذ بداية هذا القرن يعتادون طريقة الأعاجم في الصلاة، فلا يتحرك لسان المصلي ولما شفاته بقرآن ولما بغيره من الذكر ثناءً أو دعاءً أو غيره، وينظر أكثر الناس من سماع صوت المأموم أو قارئ القرآن مهما كان خافتاً.

وخالفتُ الأكثرية فأسمعتُ نفسي القراءة والدعاء وغيرهما من الذكر.

وسبق أن بينتُ مخالفتي لما روي عن بعض الفقهاء الأول فمن دونهم، مثل: الاستدلال بكثرة المشيعين على نصيب المشيع من الحق، وحفظ الله للجوارح في الكبّر بحفظها في الصغر، ولما أظن المثلين يصحان بصيغتهما المتداولة عمن يُسبّان إليه، وأن الله لنا ينجي من الهالك إلا المصلحون لنا الصالحون، وأن الله لنا يقول: (عبادي) إلهنا عن المؤمنين! مع أن الله قال: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلُّ لِمَ تَمَّ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [المفرقان: 17]، وقال تعالى: ﴿عَبْدِي مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التحرريم: 10] عن زوج ولوط - عليهما السلام - وهما المصلحان.

7- وخالفت الأكثرين في الأمور الدنيوية: فلم اتصل بأحد ولم يتصل بي بعد صلاة العشاء منذ أكثر من ثلاثين سنة.

وخالفت الأكثرين فلم أتناول الطعام أو المشراب وفق التوقيت الصناعي، بل تركت التوقيت للفطرة والحاجة، فاكتفيت بأكلة واحدة، كما كان الناس يفعلون قبل أن تغلبهم الثقافة الصناعية.

وخالفت الأكثرين في معنى الكرم، وهو عند أكثر العرب لا يتجاوز إطعام الطعام لمن يرجى منه المكافأة بالمثل، والله تعالى يقول: (وَيُطْعَمُونَ مِنْ طَعَامِ مَنْ حَبَّهُمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (8) إن ما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً! [الإنسان: 9-8]، فضلًا عن سفاهة قياس الكرم بحجم إلية الخروف للزينة لا يؤكل منها شيء، ثم ترمى في الزباله بعد أن زادت نسبة الدهون في الطعام بلا نصيب من الشرع ولما العقل ولما الرحمة ولما السداد.

وخالفت الأكثرين في اهتمامهم بالمشكل عامة، وتبذير المال الذي استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون في متابعة تغير أشكال السيارات والمسكن والملابس والأثاث والآلات.

هدانا الله لأقرب من هذا رشداً.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن الحصيّن، تعاوننا على البر والتقوى وتحذيراً من الإثم والعدوان، في 14/3/1433هـ.